الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ: ١٥ يناير ٢٠٠٢

العلاقات السعودية.الأمريكية وتداعيات 11 سبتمبر

تقوم العلاقات السعودية - الأمريكية منذ بدايتها على أساس المصالح المشتركة اولا، والصداقة ثانيا. فلقد ادت المصالح الاستراتيجية المشتركة المتعلقة بالبترول ونقل التقنية المتقدمة للسعودية، إلى نشوء صداقة قديمة بين الطرفين تم توطيدها مع مرور الوقت، ولكن العلاقات السعودية - الأمريكية واجهت ومنذ بدايتها ايضاً تحديين رئيسيين:

1 - اختلاف الطرفين حول اسس معالجة وتسوية مشكلة الشرق الأوسط ورفض السعودية لسياسة دعم واشنطن المطلق لإسرائيل.

2 - اختلاف القيم الثقافية وقيم الثقافة السياسية بشكل كبير جداً بين المجتمعين السعودي والأمريكي.

ولقد نتج عن هذا التباين بين عنصري التفاهم والتقارب (المصلحة + الصداقة)، وعنصري التباعد والتنافر (القضية الفلسطينية + اختلاف القيم المجتمعية) نوع خاص من التوازن المرن الذي مكّن العلاقات السعودية - الأمريكية من الاستقرار او التقدم وذلك بالرغم من فترات الفتور والتوتر التي اعترت هذه العلاقات من وقت لآخر.

ولقد أدت أحداث 11 سبتمبر 2001 إلى زيادة الصعوبات والتحديات القديمة التي تواجه علاقات البلدين. فإذا تأملنا في تاثير تداعيات أحداث تفجيرات 11 سبتمبر على العلاقات، يمكننا ان نلاحظ ان العلاقة الرسمية بين الرياض وواشنطن لم تتاثر كثيراً باحداث 11 سبتمبر بسبب اعتبارات المصلحة الاستراتيجية والاقتصادية المشتركة، ولكن المؤسسات الإعلامية الأمريكية وبعض المحللين السياسيين الأمريكيين العاملين في مراكز البحوث والدراسات قاموا بشن حملة إعلامية شديدة العداء للسعودية، ما زالت مستمرة حتى الوقت الحاضر. وإذا نظرنا في هذه الحملة الإعلامية يمكننا ان نلاحظ بسهولة انها ترتبط بشكل رئيسي بالتحديين المذكورين أعلاه (القضية الفلسطينية واختلاف القيم) اللذين واجها العلاقات السعودية - الأمريكية منذ نصف قرن. فمن الواضح أولا ان بعض المساهمين في هذه الحملة هم من الكتاب المعروفين بانحيازهم المستمر لجانب إسرائيل وبكثرة انتقاداتهم للعرب المسلمين وتسخير اقلامهم لمهاجمة الدول العربية التي تتصدر المواجهة العربية مع إسرائيل. وغني عن القول ان السعودية قد وقفت بشدة في التسعينات الميلادية في رفض ومواجهة ومعارضة عملية التطبيع مع إسرائيل، وذلك بسبب تعثر عملية السلام ورفض الحكومة الإسرائيلية للوفاء ببعض التزاماتها الأساسية التي وردت في اتفاقيتي اوسلو وواشنطن. كما تصدرت السعودية الدول العربية في دعم انتفاضة القدس وفي الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في جميع المحافل الاقليمية والدولية. فلقد وجد بعض هؤلاء الكتاب المشاركين في الحملة الإعلامية فرصة كبيرة لا تعوّض اما للضغط على السعودية او لتصفية الحسابات معها.

ومن الواضح ثانياً ان غالبية مضامين الحملة الإعلامية الأمريكية ضد السعودية تتعلق بشكل مباشر بمسالة اختلاف القيم الثقافية وقيم الثقافة السياسية بين المجتمعين السعودي والأمريكي. ولتوضيح هذا الأمر سوف استعرض بعض أهم مضامين النقاط التي وردت في الحملة الإعلامية الأمريكية ضد السعودية.

1 - الادعاء بان القاعدة وطالبان هما من نتائج النموذج الإسلامي السعودي المتمثل في حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والذي يشيرون إليه احياناً بالوهابية، واحياناً أخرى بالسلفية السعودية. فهذا النموذج كما يزعمون، يساعد على بناء وتكريس التطرف وعدم التسامح الديني والاجتماعي ويوجد بالتالي المناخ المناسب لنشوء العنف. ويستشهد الكتاب الذين يثيرون هذه النقطة بحقيقة ان رئيس القاعدة أسامة بن لادن هو سعودي سلفي وهابي، وان خمسة عشر من الأشخاص الذين ساهموا في تفجيرات 11 سبتمبر هم من السعوديين، وذلك وفق ادلة التحقيقات الأمريكية.

2 - انتقاد بعض الكتاب الأمريكيين لتطبيق السعودية للشريعة الإسلامية، وخاصة في مسالة العقوبات.

3 - إثارة بعض الكتاب لمسالة المراة في السعودية والادعاء بان حقوقها مهضومة وانها غير قادرة على قيادة السيارة.

4 - الادعاء بان النموذج الإسلامي في السعودية يعارض الحداثة ورفض جميع مظاهر التقدم الموجودة في الثقافة الغربية.

5 - الزعم بأن مناهج التعليم في السعودية، تعلّم كره اليهود والغرب وتحرض على محاربتهمابشكل مباشر وغير مباشر.

6 - القول بان النموذج السعودي للإسلام يعارض الحريات الدينية لغير المسلمين المقيمين في السعودية.

7 - تركيز بعض الكتاب المشاركين في الحملة على نشاطات الدعوة الإسلامية التي تقوم بها بعض المؤسسات والمراكز الإسلامية التابعة للسعودية او المدعومة منها في الخارج. والزعم بان بعض الأموال السعودية التي تصل إلى المسلمين في جميع انحاء العالم لأهداف دينية وخيرية تجد طريقها لبعض الحركات الإسلامية المتطرفة.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

عثمان الرواف

ويتضح من استعراض هذه النقاط نها جميعا تقع ضمن نطاق مسالة ختلاف القيم بين المجتمعين السعودي والأمريكي وبعض هذه النقاط هي وضوعات قديمة جديدة سبق للصحافة لأمريكية والأوربية إثارتها كما سبق فنيدها والرد عليها من قبل بعض لمفكرين المسلمين في مجالات عديدة، ولكن لجديد في الهجمة الإعلامية الحالية على السعودية هو ربطها بين الوهابية والعنف، وكذلك ادعاؤها بان مناهج التعليم في السعودية تعلم التطرف والعنف. ومن المعروف ان حركة الشيخ مجمد بن عبد الوهاب هي حركة اصلاحية دينية ترتبط بالعقيدة الأسلامية وليست حركة سياسية تدعو إلى مواجهة الغرب والصدام معه. وتعود اسس هذه الحركة إلى أكثر من مائتين وخمسين عاما، وقامت عليها الدولة السعودية منذ بدايتها، وامتد ذلك إلى الدولة السعودية الحديثة التي وصفها كثيرون من كتاب امريكا واوروبا خلال الأربعين سنة الماضية بالاعتدال والحكمة ونبذ التطرف. فماذا حدث الآن فجاة، لكي تتجه اقلام بعض المشاركين في الحملة الإعلامية الأمريكية الحالية بالتهجم غير الموضوعي والتهجم على حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وفي ما يتعلق بالنقاط التي يثيرها البعض عن مناهج التعليم في السعودية فمن المهم التوضيح بان جميع مناهج التعليم في جميع دول العالم تحتاج إلى تطوير دائم للاستجابة إلى متطلبات التنمية الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتقنية في العالم. هذه مسالة يمكن فهمها وادراك اهميتها على صعيد عالمي كامل، ولكن الادعاء بان مناهج التعليم في السعودية تعلم التطرف والعنف هي مسالة أخرى لا يمكن قبولها أو تقديم اي تبرير علمي لها.

فلقد شهدت مصر والجزائر خلال الثمانينات والتسعينات الميلادية بعض ممارسات العنف الوحشية التي تنفذها مجموعات متطرفة تدعي الاسلام. ومن المعروف ان مناهج التعليم في كلتا الدولتين وخاصة في الجزائر تختلف عن مناهج التعليم في السعودية بشكل كبير، ولا تتضمن تدريس الموضوعات الدينية بشكل مكثف وهو الأمر الذي يثيره اصحاب الحملة، ويدعون فيه بان تطرف بعض الشباب السعوديين الذين انضموا إلى صفوف القاعدة يعود بشكل رئيسي إلى تاثرهم بمناهج التعليم الديني. فلو ان مناهج التعليم هي السبب الرئيسي للتطرف لكان من المفروض ان لا ترى اي ممارسات للعنف والتطرف لا في الجزائر ولا مصر. وبيت القصيد، هو ان تطرف بعض شباب المسلمين، سواء في مصر او السعودية او الجزائر او غيرها من المجتمعات الإسلامية، لا يرتبط بمناهج التعليم، ولكن باسباب اخرى ينبغي فهمها وإدراكها ووضع اسس صحيحة لمعالجتها. وتوخياً للانصاف والموضوعية، فإنني ارى اهمية التوضيح بان بعض المشاركين في الحملة الإعلامية الامريكية ضد السعودية هم ليسوا من الفئتين المذكورتين اعلاه، اي فئة الكتاب الصهيونيين المعروفين بدعمهم الطويل لإسرائيل وفئة العلمانيين والليبراليين المعارضين للاتجاه الديني المحافظ في السعودية، فهناك مجموعة من المشاركين في الحملة الذين صبوا نار غضبهم على السعودية لأن بن لادن وخمسة عشر شخصاً من منفذي تفجيرات 11 سبتمبر هم من السعوديين.

ماذا يمكن القول اخيرا عن مستقبل العلاقات السعودية - الأمريكية في اعقاب تداعيات احداث الحادي عشر من سبتمبر لعام 2001؟ يصعب في الحقيقة تقديم نظرة تفاؤلية أو تشاؤمية في هذا الأمر في الوقت الحاضر، ويمكن للعلاقات السعودية - الأمريكية - كما يعتقد البعض - أن تستمر في وضعها السابق الطويل القائم على اساس المصلحة المتبادلة وذلك بالرغم من تداعيات 11 سبتمبر ومن الفجوة التي حدثت بين الطرفين نتيجة استمرار أمريكا في دعمها المطلق لإسرائيل ونتيجة الحرب التي يشنها الإعلام الأمريكي على الثقافة والدين في المملكة العربية السعودية. وحتى لو افترضنا ان اتساع الهوة الحالية سوف يؤثر بشكل سلبي على علاقة المصلحة بين الرياض وواشنطن فليس من المتوقع للسعودية وأمريكا أن تصبحا دولتين معاديتين لبعضهما بعضا. فمن الممكن للسعودية أن تعتمد على أوروبا اكثر من امريكا في شراكة مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية، ويمكن لأمريكا ان تقبل هذا الوضع إذا أدركت ان ارتباط المصالح السعودية الأوربية لن يضر بمصالحها بشكل رئيسي. فإذا وجدت امريكا أن مصالحها الرئيسية في هذه المرحلة هي مع إسرائيل وحدها، فمن الطبيعي للسعودية ان تبحث عن شريك آخر يخدم مصالحها. وهذا الشريك البديل لأمريكا الذي يمكنه أن يدخل مع السعودية في علاقة مصلحة تبادلية قوية هو أوربا، وسوف يصعب على امريكا رفض تكثيف علاقة المصالح بين أوربا والسعودية، فالدول إذا اختلفت مصالحها يمكن أن تذهب في اتجاهات مختلفة من دون أن تتحول بالضرورة إلى اعداء. وحقيقة الأمر ان أوربا في الوقت الحاضر هي جزء مهم من علاقة المصلحة القائمة بين السعودية وأمريكا، وما سوف يتغير في حال وقوع هذا السيناريو هو أن أوربا بدل امريكا ستصبح هي الحليف الاستراتيجي الأول للسعودية، وسوف تصبح امريكا في تحالف المصالح السعودي الغربي الجديد في المركز الثاني بعد أوربا.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية